

ماذا يعنى التجسد الالهى

في القديم تعامل الله مع الانسان بأنواع طرق مختلفة • فتارة يظهر لله شكل لهيب نار في العلقة وتارة اخرى في شكل ملائكة وسرة ثالثة في شكل لهيب نار ••• ولكن أن يتجسد ابن الله ، ويصبح انساناً مثلنا في كل شيء فيما خلا الخطية وحدها • هذا أمر يفوق كل تصور ويعلو كل منطق وتفكير بشرى فاذا كان التجسد الالهى هو اعظم وأهم حدث في تاريخ البشرية فما الذى يعنيه بالنسبة لله والانسان ؟

التجسد افصاح عن جوهر الحب :-

إذا كانت غاية خلق الانسان هى أن يتمتع هذا المخلوق الفريد بحياة الشركة المقدسة مع الله فان التجسد يفهم أيضاً منطلق هذا الحب فكما أحب الله الانسان وخلقته لكى ينعم بالفرح والحب والحياة والمجد الالهى هكذا نزل اليه وأخذ طبيعته وتجسد وتأنس لكى يعيد الينا حياة الشركة المقدسة فتحيينا من سقطتنا وتقيمنا من موتنا وتهبنا الحياة الأبدية بعد الموت الذى استحقناه بمعصية أبينا آدم الأول -

في هذا يقول الكتاب المقدس « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . فإذا كان يقصد الآب أن يشبع هذا الكائن الجائع فقد قدم له الخبز الحى الحقيقى فقد وهبه بتجسده أن يأخذ الخبز الحى الذى نزل من السماء . الذى ان أكل أحد منه يحيى الى الأبد . وهذا الخبز الذى يعطيه هو جسده الذى يبذله من أجل حياة العالم . لهذا قال الرب بقمه الطاهر من يأكلنى يحيى بى (يو ٦ : ٥١-٥٨) .

+ وإذا كانت الخبيثة قد مزعت الوحدة بين الله والانسان فقد أعاد الرب يسوع بتجسده هذه الوحدة وأدخلها تخوم الأبدية ففى شخصه وحده لقام الله والانسان اتحاد اللاهوت بالناسوت اتحاداً بلا انفصال وبلا اختلاط وبلا امتزاج وبلا تقيير وهذا ما عبر عنه الرسول بولس فى رسالته الى أفسس « ليجمع كل شىء فى المسيح ما فى السموات وما على الأرض » (أف ١ : ٤) . وهكذا قال للأب السماوى « أريد أن هؤلاء الذى أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا . . . » « عرفهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم » (يو ١٧ : ٢٦) .

ولقد كانت مقاصد الأب السماوى أن يشترك الابن مع الانسان فى هذه الطبيعة البشرية ليشبه اخوته فى كل شىء . كما قال بولس الرسول كاتب سفر العبرانيين « من ثم كان ينبغي أن يشبه اخوته فى كل شىء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً فى الله » حتى يكفر خطايا الشعب لأنه فى ما هو

تألم مجرباً يتصدر أن يعين المجربين • وفي موضع آخر يقول
« فإذا قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك
فيها لكي يبديد بالموت ذلك الذي له سلطان الموت أى إبليس
ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم
تحت العبودية •

من هذا نستخلص أن محبة الثالوث القدوس هي المنطلق
الذي نستطيع أن نفهم من خلاله عقيدة التجسد الإلهي وهي
تحمل بعدين متكاملين : الضد والخلاص من خطية الانسان
وثانيهما هو اشراك الانسان في الحياة مع الله • أما شركتنا نحن
فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح • (١ يو ١ : ٣) •
• لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع •
(١ كو ١٥ : ٢٢) •

التجسد ايضاح لمعنى الحياة والزمان :-

لولا تجسد الابن ودخوله تاريخنا البشرى والتزامه بماساتنا
التزاماً صميمياً لما كان للحياة معنى ولوقع الانسان تحت مطرقة
الزمن رازحاً تحت عبء القلق والملل والضجر واليأس هكذا
ما عبر عنه فيلسوف الحادى معاصر في فرنسا بقوله :

« انى لا أعرف معنى لحياتى ان وجودى شغلطة لا تفسير
لها » • أما المسيحي فهو يعنى رسالته ويفهم معنى حياته جيداً
لقد شرحها له الرب يسوع الذي صار لنا من الله حكمة وبراً
وقداسة وفضاء •

الحياة بعد التجسد صارت رسالة وكل من يؤمن بوليد
بيت لحم يعى جيداً أن الحياة لم تعد أكلا وشرياً ولها ثم
ضياعاً وموتاً لقد دخل الله تاريخ الانسان ليُدخل الانسان الى
أعماق قلب الله .

+ ان الحياة بعد المسيح قد صارت للمسيح . لأنه ان
عشنا فللرب نعيش وان متنا فللرب تموت فان عشنا وان متنا
فللرب نعن . لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود على
الأحياء والأموات . (رو ١٤ : ٨) .

+ وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد
لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام (٢كو ٥ : ١٥) .

+ وما أحياء الآن في المسيح قائماً أحياء في الايمان ايمن
ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي .

من هذا المنظار لم تصبح هناك ما تسمى « مشكلة
الانسان » أو مشكلة الحياة بكل ما فيها من خير وشر وبكل
ما فيها من بهجة وألم لأن الايمان له عين ثاقبة ترى الأمور
التي لا ترى وتؤمن ان كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون
الله والذين يؤمنون أن عمانوئيل معنا وفي وسطنا عزيزنا
النجار .

ولقد أعطى التجسد معنى للزمن فالماضى قد فهمناه من
خلال التدبير الالهي وخطة الأب السماوي في اعداد البشرية

لتقبل مولود بيت لحم وهذا ما عبر عنه الكتاب بقوله « ولما جاء
ملء الزمان » ملء الزمان هو اكتمال تدابير العهد القديم .

انه اتسام خطة المربي - على حشد تعبير اكليمينطس
الاسكندري - ذلك الذي استخدم الأحداث التاريخية والناموس
واسرائيل بكل ما حمل من آباء وقضاة وملوك وكهنة وابناء
لتربية البشرية وترقيتها واعادتها روحياً وأدبياً لقبول أعظم
عطية أعطهاها الآب للبشرية وهي ابنة المييب الذي سر به قلبه
وجاء هذا القبول على فمندوبة البشرية كلها العذراء القديسة
الطاهرة مريم . عندما قالت للملاك « هوذا أنا أمة الرب ليكن
لي كقولك » .

+ فالماضى كان اعداد للتجسد .

+ والحاضر هو تنعم بالتجسد من خلال الكنيسة
واسرارها الالهية .

+ والمستقبل هو توقع المجيء الثانى المخوف المملوء
مجداً عندما يكمل المختارون وينهى الله الزمان عند اكتمال أعضاء
الكنيسة التي هي هدف الوجود كله في هذا قال أحد اللاهوتيين
« ان العالم خلق بغية أن يكون كنيسة » فالتجسد الالهى
أوضح لنا أن الله عامل في التاريخ « أبى يعمل وأنا أيضاً
أعمل » . لقد عمل في الماضى ولا يزال يعمل الآن وسيظل عاملاً
مستخدماً كل أحداث الزمان المعادية والمواتية . المعاندة

والخاضعة لكي يتمجد الرب في كنيسة بالمجد الذي له عند الآب
اتنا نحن المسيحيون نؤمن أن الله عامل فينا وعامل في التاريخ
لتحقيق مقاصده .

ان المسيحيون يؤمنون أن تجسد الله لم يحدث في جوهره
المقدس تنغيراً لأن الذي يؤمن أن الله خلق الانسان من طين من
بقعة محدودة وفي زمان معين يؤمن أن الله تجسد في زمان معين
وفي حيز محدد لا تجعله محدوداً ولا يحدث فيه تغييراً ولا تبديلاً .

مسئولية الكنيسة ازاء الجسد الالهى :-

ان الحركة الهابطة من السماء لا بد أن تقابلها حركة
صاعدة من الانسان . الله الذي نزل من مجده واتحد بنا وصار
واحداً معنا وفينا لا بد وأن تقابل محبته هذه بمحبة غامرة من
قلوب مؤمنيه ومحبيه .

+ يقول الرسول يوحنا انظروا آية محبة اعطانا الآب
حتى ندعى اولاد الله . أيها الأحياء ان كان الله قد أحبنا هكذا
ينبغي لنا أيضاً أن نحب بعضنا بعضاً .

+ وان كان الابن قد نزل الينا فذلك لكي يستطيع أن
ينقل الفكر البشرى الى شخصه ويركز احساساتهم في ذاته
الالهية كما يقول القديس اثناسيوس الرسولى في كتابه تجسد
الكلمة وهو نفس ما عبر عنه الرسول بولس « فان سيرتنا نحن
هي في السموات التي فيها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع
المسيح » (في ٣ : ٢) . في المجيء الثانى للرب يسوع المملوء

مجداً سوف يرى المظدين الذين اشتعلت قلوبهم بحب فادهم
الذى نزل اليهم ليرفهم اليه .

+ سنرى شهداء قطعت رؤوسهم بالسيف وانفتحت
السماء لهم ليروا ابن الله في مجده مشتى قلوبهم ورجاء حياتهم .

+ سنرى رهباناً وسواحاً حرموا انفسهم من البشرية
والبشرىات لتبقى أيديهم مرفوعة بالصلاة وقلوبهم ملتهبة حيا
بالعريس السماوى .

+ سنرى خداماً وكارزين ومعلمين وعلمانيين تمسوا
كثيراً من أجل اسمه وكانت آخر انفسهم تردد كلمات الوحى
الأخيرة .

د تعال أيها الرب يسوع نعم تعال سريعاً

